"نَحـنُ ومَاحَولنَا"

ميدليڤانت MEDLEVANT

البَيضَة الغَريبَة

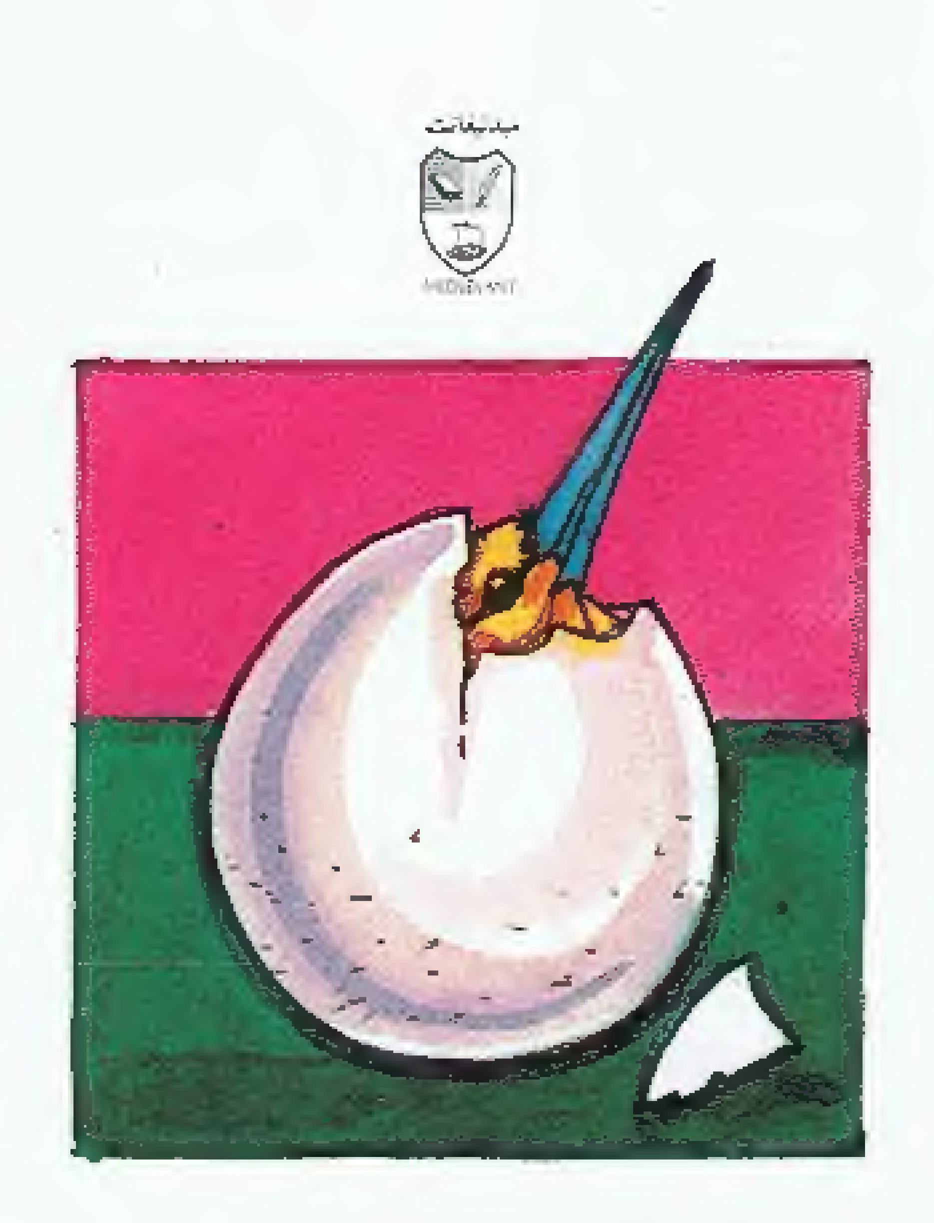


P.O. Box 3128
CH 6901-Lugano, Switzerland
I S B N 88 - 7674 - 034 - 1

First published 1984 الطبعة الأولى
Reprinted 1985 الطبعة الثانية

"نَحْنُ ومَا حَولنَا"

البَيضَة الغرَيبَة





فِي صَبَاحِ الخَامِسِ والعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ أَيْلُول (سبتمبر)... وفِي أَحَدِ الكُهُوفِ البَعِيْدَةِ في بلاد الغِيْران، عَثَرَ العَالِمُ بَحُوث عَلىٰ بَيْضَةٍ غَرِيْبَة.

وفي خِلَالَ سَاعَاتٍ، أُذِيْعَ هذا الخَبَرُ العَجِيْبُ علىٰ أَمْوَاجِ الأَثِيْر، في الإِذَاعَاتِ المَسْمُوعَةِ وَ المَرْئِيَّةِ في كُلِّ أَنْحاءِ العَالَم. كَمَا أَعْلَنَتِ الصُحُفُ العَالَمِيَّةُ المَشْهُورَةُ نَبَأَ هٰذا الحَدَثِ العَظِيْمِ عَلىٰ النَّحْوِ التَالِي:

«بَيْنَمَا كانَ هٰذا العَالِمُ المُغَامِرُ جَادّاً في سَيْرِهِ في أَحَدِ الأَيَّامِ في الكُهُوفِ المُظْلِمَةِ البَارِدَةِ... الّتي تَرْشَحُ مِنْ جُدْرَانِهَا الرَّطْبَةِ قَطَرَاتُ النَدَىٰ... وَتُرَدِّدُ دَهَالِيزُهَا المُلْتَوِيَةُ صَدَىٰ خُطُوَاتِهِ الحَثِيْثَةِ... كَانَ ضَوْءُ مِصْبَاحِهِ يَعْكِسُ أَضْوَاءً مُتلأْلِئَةً، عَلَىٰ الصُّخُورِ المُتَدَلِّيَةِ كالشَمْعَدَانَاتِ مِنْ جُدْرَانِ الكُهُوفِ الرَّطْبَةِ... وَفِي لَمْحَةٍ سَرِيْعَةٍ... وَقَعَتْ عَيْنَاهُ النَّفَّاذَتَانِ عَلَىٰ كُتْلَةٍ بَيْضَاءَ مُسْتَدِيرَةٍ... مُلْقَاةٍ عَلَىٰ أَحَدِ الرُّفُوفِ الصَّخْرِيَّةِ...»

وَقَدْ نُشِرَتْ صُورَةُ العَالِمِ بَحُوث تَحْتَ هٰذَا الخَبَرِ وَهُوَ يَحْمِلُ بَيْضَةً هَائِلَةً وَيُحَاوِلُ دَسَّهَا تَحْتَ بِطَانَةِ مِعْطَفِهِ الفِرَائِيّ... وَقَدْ كُتِبَتْ هٰذِه العِبَارَةُ تَحْتَ صُورَتِهِ «لِمَنْ هٰذِهِ البَيْضَةُ؟».





وَكَانَ في المَدِينَةِ جَمْعِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا جَمْعِيَّةُ البُهَّلِ لِلْمُحَافَظَةِ علىٰ الطُيُورِ... والبُهَّلُ هِيَ الحَيَوَانَاتُ المُهْمَلَةُ الّتي أَخَذَتْ بالإنْقِرَاضِ وَمِنْ أَشْهَرِهَا الطَيْرُ «بَاهِل» وَاسْمُهُ «الدودو» باللُغَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ... وَقَدْ تَدَاعَىٰ أَعْضَاءُ هٰذِهِ الجَمْعِيَّةِ عَلىٰ عَجَلٍ لِيُنَاقِشُوا الحَدَثَ الخَطِير: بَيْضَةُ العَالِمِ بَحُّوث!

وَكَانَتْ مُحَاضَرَةُ هٰذَا العَالِمِ لأَعْضَاءِ الجَمْعِيَّةِ مُقْتَضَبَةً... وَمُمْتِعَةً. وَقَدْ ذَكَرَ بَحُّوثُ فِي مُحَاضَرَتِهِ، أَنَّ هٰذَا الإِكْتِشَافَ يُؤَكِّدُ أَنَّ هُنَاكَ طَائِراً كَبِيراً قَدْ عَاشَ مُنْذُ زَمَنٍ لَيْسَ بِالبَعِيْدِ... طَيْرٌ هَائِلٌ... لَمْ يُذْكَرْ لَهُ مَثِيْلٌ فِي سِجِلاَّتِ جَمْعِيَّةِ «البُهَّل».

قَالَ العَالِمُ... فِي نِهَايَةِ حَدِيْثِهِ... «يُسْعِدُنِي أَنْ أُقَدِّمَ لَكُمْ يا أَصْدِقَائِي أَعْضَاءَ جَمْعِيَّةِ البُهَّل، هٰذِهِ البَيْضَةَ النَّادِرَةَ الوُجُودِ... الّتي بَاضَهَا... دُوْنَ شَكٍّ... طَيْرٌ... نَادِرُ الوُجُود!»

لٰكِنَّ أَحَدَ أَعْضَاءِ الجَمْعِيَّةِ الشَبَابِ لَمْ يَكُنْ مُقْتَنِعاً بِأَنَ هٰذِهِ البَيْضَةَ مُثِيْرَةٌ لِكُلِّ هٰذَا



الاهْتِمامِ... إذْ إنَّهُ رَدَّ قائِلاً: «هٰذِهِ بَيْضَةٌ عَدِيمَةُ الفائِدَةِ حَتَّىٰ لَوْ فَقَسَتْ... فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ هٰذا الطّائِرُ الصَّغِيرُ أَنْ يَعِيشَ؟ وَمَنْ ذا الَّذي سَيُطْعِمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ كَيْفَ يَطِير؟».

وَقالَ ثالِثٌ: «الأَفْضَلُ أَنْ نَضَعَ هٰذِهِ البَيْضَةَ في مَجْمُوعَةِ بَيْضِ الطُّيُورِ في المُتْحَفِ»

وَعَلَّقَ تِلْمِيذٌ نَبِيهٌ بِقَوْلِهِ: «لَعَلَّ مِنَ الخَيْرِ لَكُمْ أن تَجْعَلُوا مِنْ هٰذِهِ البَيْضَةِ الكَبِيرَةِ كَعْكَةً تَأْكُلُونَها مَعَ فُنْجانِ الشّاي المَعْهُودِ!».

أَقْفَرَتِ القاعَةُ مِنَ الحُضُورِ... وَبَقِيَ العالِمُ بَحُوث يُحَدِّقُ بِحُزْنٍ في بَيْضَتِهِ الغَرِيبَةِ... لَرُبَّما حاوَلَ أَنْ يُصْغِيَ إِلىٰ نَصائِحِهِمْ وَيَتَخَلَّصَ مِنْ هٰذِهِ الكُتْلَةِ الرَّمادِيَّةِ القُشُورِ، أَوْه!... لٰكِنَّهُ لا يَسْتَطِيع!... إنَّهُ هُوَ الوَحِيدُ الَّذي عَثَرَ عَلَىٰ هٰذِهِ البَيْضَةِ... وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْؤُولِيَّتَها!

وَبِحَرَكَةٍ عَفْوِيَّةٍ سَرِيعَةٍ... حَلَّ سَحّاب بِطانَةِ مِعْطَفِهِ الفِرائِيَّةِ، وَأَخْفَىٰ بَيْضَتَهُ الغالِيَةَ بِحَيْطَةٍ وَحِرْصٍ... ثُمَّ شَدَّ سَحّاب بِطانَتِهِ بِانْتِعاشٍ وَإِصْرارٍ.



كَانَ مِنْ عَادَةِ العَمَّةِ حَفِيَّة أَنْ تَتَنَاوَل الشَّايَ مَعَ العَالِمِ بَحُوث كُلَّ يَوْمِ جُمُعَة. كَانَتْ عَجُوزاً مُحَبَّبَةً... وَلٰكِنَّهَا كانت ثَقِيْلَةَ السَّمْعِ... إِذْ إِنَّهَا عِنْدَمَا سَمِعَتْ صَوْتَ دَقَّاتٍ خَفِيْفَةٍ... ظَنَّتْ أَنَّهَا صَوْتَ ذَبْذَبَةِ سَمَّاعَتِها؛ بَيْنَمَا ظَنَّ العَالِمُ بَحُوث أَنَّهَا أَصْوَاتُ قَرْقَعَةِ مَعِدَتِهِ الخَاوِيَةِ... فَاقْتَطَعَ لِنَفْسِهِ قِطْعَةً أُخْرَىٰ من كَعْكَةِ السُّلْطَانَةِ مُعْتَذِراً لِعَمَّتِهِ بِأَنَّهُ مَازَالَ جَائِعاً.

لَمْ تَكْتَشِفِ العَمَّةُ حَفِيَّة والعَالِمُ بَحُوث مَاذَا يَحْدُثُ حَوْلَهُمَا... إِلَّا عِنْدَمَا ارْتَفَعَ صَوْتُ النَّقْرِ إِلَىٰ دَقَّاتٍ عَنِيفَةٍ... وَامْتَلَأَ جَوُّ الغُرْفَةِ بِقَرْقَعَةٍ حَادَّةٍ صَادِرَةٍ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَا مِعْطَفِ العَالِمِ بَحُوث... عِنْدَهَا شَاهَدَ الاِثْنَانِ بِدَهْشَةٍ بَالِغَةٍ... مِنْقَاراً... صَغِيْراً أَزْرَق يَشُقُّ طَرِيقَهُ مِنْ بَيْنِ أَزْرَارِ مِعْطَفِ العَالِمِ الجَلِيلِ!

«يَا إِلٰهِي» صَاحَتِ العَمَّةُ حَفِيَّة... «لَقَدْ فَقَسَتْ بَيْضَتُكَ! آه... كُلُّ مَا أَتَمَنَّاهُ لَكَ... أَنْ تَعْرِفَ مَاذا سَتَفْعَلُ الآنَ!».





أَمْضَى العَالِمُ لَيْلَتَهُ مُحَاوِلاً اكْتِشَافَ أَصْلِ هٰذَا الطَّيْرِ الغَرِيْبِ... بَيْنَمَا كَانَتْ العَمَّةُ حَفِيَّة مُنْهَمِكَةً فِي لَفِّ الطَّيْرِ بِحِرْصٍ دَاخِلَ نَسِيجِهَا الصُّوفِيِّ الوَثِيْرِ.

وَعَاوَدَ العَالِمُ ثَانِيَةً البَحْثَ فِي الكُتُبِ الّتِي تَهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ الطُّيُورِ... مُقَلِّباً صَفَحَاتِهَا بِيَأْسٍ مُتَزَايِدٍ... «هٰذَا هُوَ عُصْفُورُ الجَنَّةِ... وَذَاكَ عُصْفُورُ الحِنَّاءِ... وَهٰذِهِ هِيَ القُبَّرَةُ... وَهٰذَا هُوَ الشُّحْرُور..» لٰكِنْ... دُوْنَ جَدْوَى...

كَانَتْ رَائِحَةُ كَعْكَةِ السُّلْطَانَةِ مَاتَزَالُ عَابِقَةً فِي جَوِّ الغُرْفَةِ... عِنْدَمَا تَزَايَدَتْ صَرَخَاتُ الطَّائِرِ الصَّغِير وَزَعِيقُهُ الجَائِعُ... وَاشْتَدَّ اسْتِغْرَاقُ العَالِمِ وَتَنْقِيبُهُ اليَائِسُ!

«حَسَنَاً يَا بَحُوث» صَاحَتِ العَمَّةُ حَفِيَّةُ مِنْ بَعِيد... «دَعْ عَنْكَ كُتُبَكَ المُغْبَرَّةَ هٰذِهِ وَاستَمِعْ إلَيَّ: هٰذَا المَخْلُوق الصَّغِيرُ بِحَاجَةٍ إِلَى أُمٍّ تَرْعَاهُ... وَأَنْتَ لَا تَصْلُحُ لِلْقِيَامِ بِهٰذَا العَمَلِ... لِذٰلِكَ... سَأَضْطَرُّ لِلْبَقَاءِ عِنْدَكَ كَيْ أَتَوَلَّى رِعَايَتَهُ».

وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي، أَعْلَنَت العَمَّةُ حَفِيَّة أَنَّهَا قَدْ أَفْلَحَتْ فِي إِطْعَامِ المَخْلُوقِ الصَّغِيْرِ قِطَعاً صَغِيْرَةً مِنَ الدِّيْدَانِ الطَازَجَةِ، كَمَا بَلَّتْ رِيْقَهُ بِثَلَاثِ قَطَرَاتٍ مِن المَاءِ عَصَرَتْهَا لَهُ مِنْ رَضَّاعَةِ لُعْبَةِ طِفْلٍ صَغِيرٍ! كَانَتْ عَمَلِيَّةُ إِطْعَامِ الطَّائِرِ الصَّغِيْرِ مُرْهِقَةً وَطَوِيلَةً، وَقَدْ اسْتَرْخَى الطَائِرُ الصَّغِيرُ بَعْدَ هٰذَا الجُهْدِ فِي نَسِيْجِ العَمَّةِ الصُّوفِيِّ... مُصَمِّماً عَلَىٰ مُصَارَعَةِ الفَنَاءِ!

اسْتَمَرَّتِ العَمَّةُ حَفِيّة عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ هٰذِهِ الصُّعُوبَاتِ، فِي العِنَايَةِ بِالطَّائِرِ الصَّغِيْرِ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تُحِسُّ - لِكِبَرِ سِنِّهَا - بِأَنَّهَا لَنْ تَعِيْشَ طَوِيلاً لِتُسَاعِدَ هٰذَا الصَّغِيرَ عَلَىٰ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ المَصَاعِبِ الّتِي تُوَاجِهُهُ... كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ تَشُكُّ بِقُدْرَتِهَا عَلَىٰ تَعْلِيمِ هٰذَا الصَّغِيرِ الطَّيَرَانَ أَوْ تَصَيُّدِ الحَشَرَاتِ الطَّائِرَةِ.

أَصْغَىٰ العَالِمُ إِلَىٰ حَدِيْثِ عَمَّتِهِ بِجِدٍّ وَحُزْنٍ... ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ بَحْثِهِ المُتَلَهِّفِ عَنْ أَصْلِ هٰذَا الطَّائِرِ الصَّغِيرِ، فِي مَكْتَبَتِهِ الوَاسِعَةِ الضَخْمَةِ.





وَفِي العَدَدِ التَّالِي مِنْ «مَجلَّة البُهَّل» الأُسْبُوعِيَّةِ... صَدَر الإِعْلاَنُ الآتي:

«سَاعِدُوني في العُثُورِ عَلَىٰ أَبَوَيَّ».

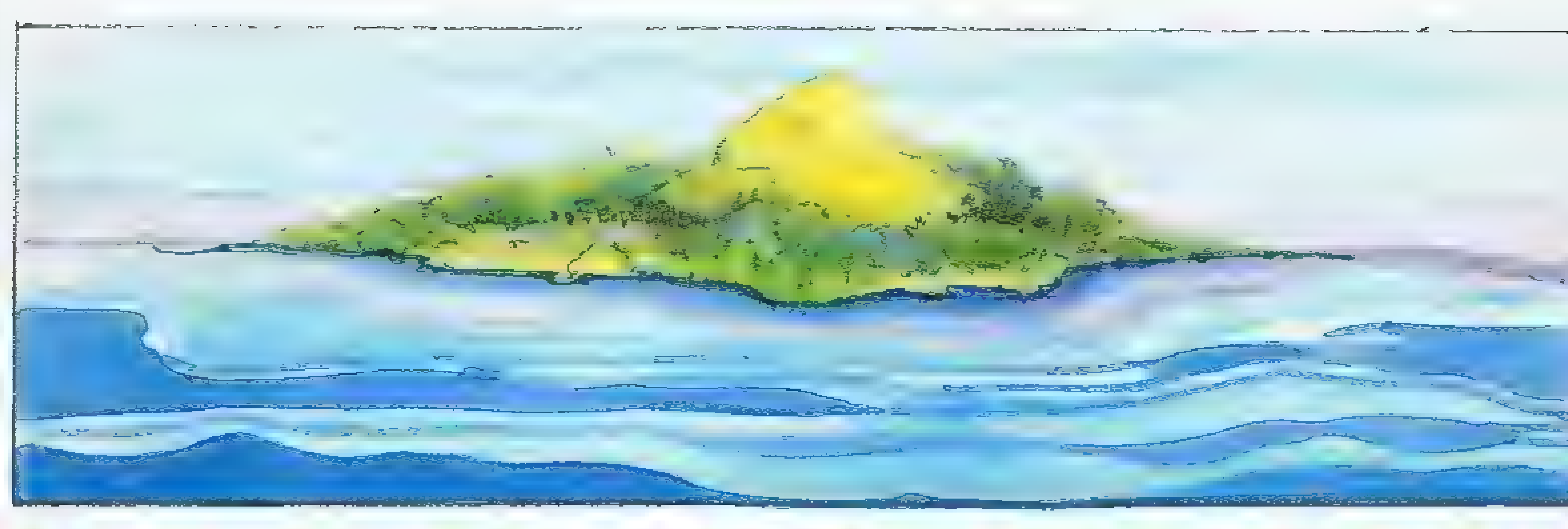
إِنَّهُمْ يُلَقِّبُونَنِي «باليَتِيمِ المَجْهُولِ» أو «عَجْيَان»... أَنَا طَائِرٌ صَغِيرٌ مَهْجُورٌ؛ مَجْهُولُ الأَبَوَيْنِ وَ الأَصْلِ... أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَوْطِنِي الأَصْلِيَّ، لِأَتَعَلَّمَ كَيْفَ أَعِيشُ وَأَتَصَرَّفُ وَمَاذَا آكُلُ. (فَأَنَا أُفَضِّلُ أَكْلَ كَعْكَةِ السُّلْطَانَةِ الآنَ... تُرَىٰ... هَلْ أَنَا آخِرُ مَخْلُوقٍ مِنْ فَصِيلَتِي؟ أَوْ أَنَّ هُنَاكَ طَائِراً مِثْلِي... فِي مَكَانٍ مَا... في هٰذَا العَالَمِ الوَاسِعِ...؟

كَانَ نِدَاءُ هٰذَا الطَّائِرِ الغَرِيبِ يُفَتِّتُ القَلْبَ وَيُحْزِنُهُ... مِمَّا أَسْكَتَ جَمِيعَ السَّاخِرِينَ مِنْ العَالِمِ بَحُوث، وَاسْتَقْطَبَ رَسَائِلَ عَطْفٍ وَرِثَاءٍ وَاسْتِعْدَادٍ لِلْمُسَاعَدَةِ مِنْ كُلِّ مُحِبِّي الطُّيُورِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ.



مَرَّ أُسْبُوعٌ عَلَىٰ تَسَلُّمِ العَالِمِ بَحّوث أَوَّلَ رِسَالَةٍ بَعْدَ نِدَاءِ الطَّائِرِ الرَّقِيقِ في مَجَلَّةِ البُهّلِ، حِينَ بَدَأَ رِحْلَتَهُ مَعَ عَجْيَان الصَّغِيرِ إِلَىٰ جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِيْ المُحِيْطِ الهِنْدِيّ؛ حَيْثُ ظَنَّ العَالِمُ بَحُّوث بِأَنَّهُ سَيَجِدُ حَلاً لِمُشْكِلَتِهِ... في ذٰلِكَ المَكَانِ البَعِيْدِ مِنَ العَالَم. اصْطَحَبَتِ العَمَّةُ حَفِيَّة العالِمَ وطَيْرَهُ إلىٰ المَطَارِ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُمَا لَمْ يُضَيِّعا أَيّاً مِنَ الخَرَائِطِ وَالوَثَائِقِ الّتِي يَحْمِلانِهَا مَعَهُمَا، وَلِتُلَوِّحَ ـ مُوَدِّعَةً ـ لِطَيْرِهَا العَزِيزِ المَحْمُولِ فِيْ قَفَصِهِ الأَنِيْقِ المُبَطَّنِ بِنَسِيجٍ صُوْفِيٍّ وَرْدِيِّ اللَّوْنِ.

وَفِي قَاعَةِ المَطَارِ... قَامَتِ العَمَّةُ حَفِيَّة بِسَحْقِ حَبَّةٍ مَانِعَةٍ لِلدُّوَارِ... وَأَذَابَتْهَا فِي رَضَّاعَةِ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ... ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ إِيَّاهَا بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ قَائِلَةً: «أَخَافُ عَلَيْكَ يَا صَغِيْرِي مِنَ الدُّوَارِ... لأَنَّكَ غَيْرُ مُعْتَادٍ عَلىٰ الطَّيَرَانِ مِثْلَ سَائِرِ الطُّيُورِ!...







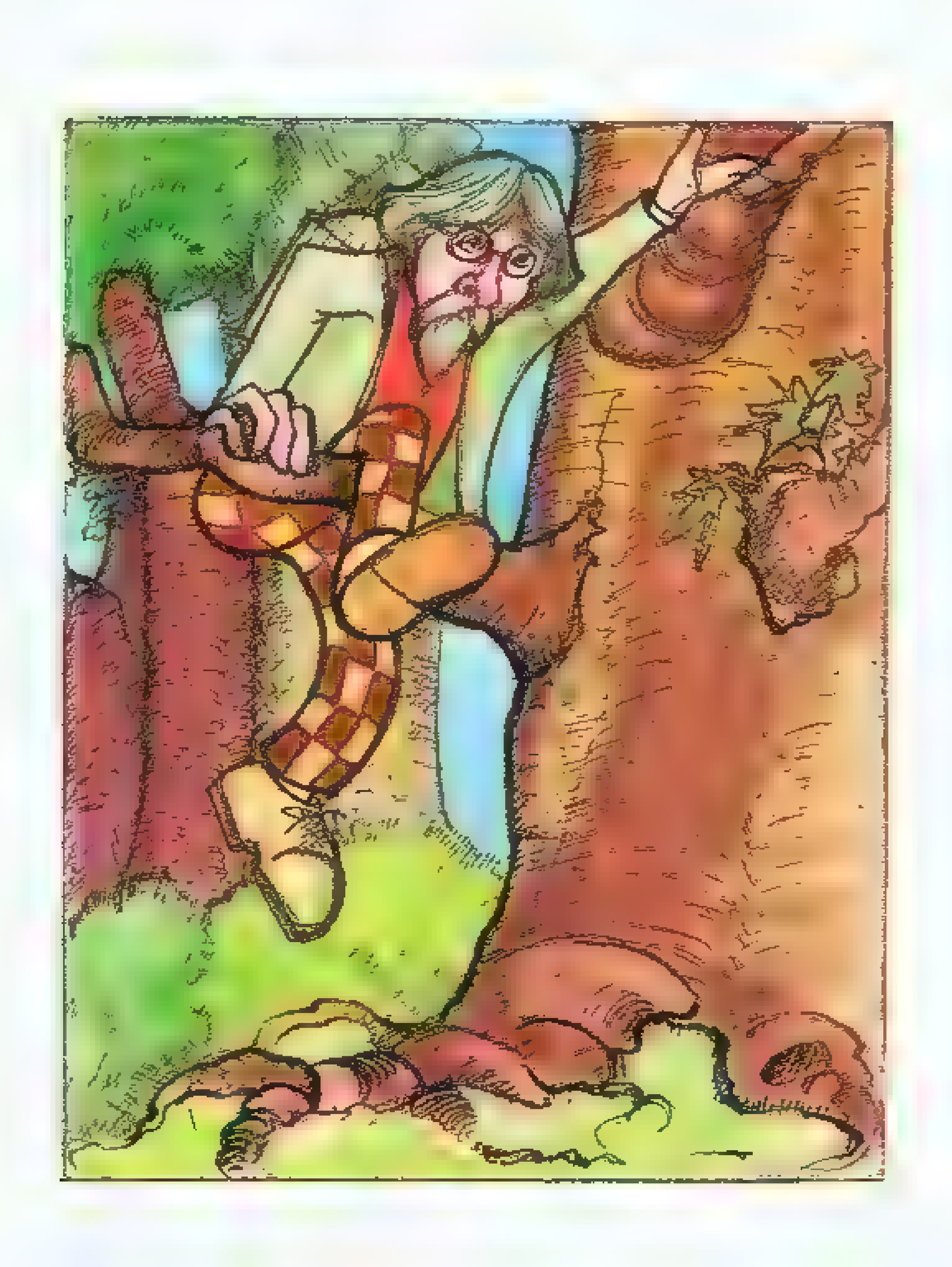
فِيْ اليَوْمِ التَّالِي... عِنْدَ الغُرُوبِ... وَصَلَ العَالِمُ بَحُّوث وَزَمِيلُهُ حَارِسُ الطُيُورِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مُرْتَفَعَاتِ جِبَالِ الأَمْرَاشِ، المُغَطَّاةِ بالأَحْرَاجِ الكَثِيفَةِ فِي جَزِيْرَةِ المَرْمَرِيس. وَقَضَىٰ الإِثْنَانِ يَوْمَهُمَا فِي مُحَاوَلَةِ شَقِّ مَمَرٍّ ضَيِّقٍ لِيَصِلا إِلَىٰ المُرْتَفَعَاتِ العَالِيَة... فَكَانَا يَقْطَعَانِ أَغْصَانَ

الأَشْجَارِ المُتَدَلِّيَةِ المُتَشَابكَةِ الّتي كَانَتْ تَسُدُّ طَرِيقَهُمَا وَالَّتي كَانَتْ تُؤَلِّفُ شَبَكَةً كَثِيْفَةً مِنَ الخُضْرَةِ بيْنَ الأَشْجَارِ البَاسِقَةِ.

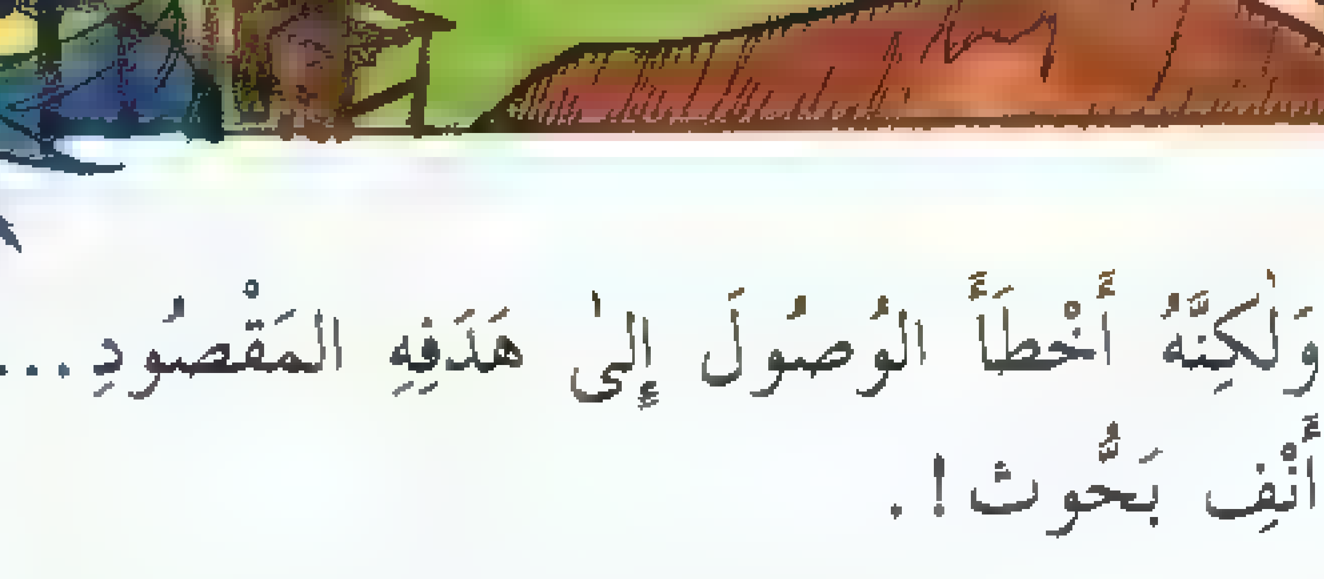
«إِنَّهُ هُنَاكَ»، قَالَ حَارِسُ الطُّيُورِ، بَلْ إِنَّهَا هٰذِهِ الشَّجَرةُ... لا بَلْ تِلْكَ الشَجَرَةُ... هُنَاكَ». بَدَأَ الإِثْنَانِ يَنْظُرَانِ بِتعَبٍ إِلَىٰ أَعَالِي الأَشْجَارِ... لٰكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا اكْتِشَافَ أَيِّ عُشٍّ لِلْطُّيُورِ بَيْنَ الأَغْصَانِ المُتَشَابِكَةِ الكَثِيفَة. حَاوَلَا الإِصْغَاءَ... لٰكِنَّ الأَصْوَاتَ فِي تِلْكَ الغَابَاتِ الاسْتِوَائِيَّةِ كَانَتْ تَتَسَرَّبُ إِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ بَدَلاً مِنْ أَعَالِي الأَشْجَار.

«عَلَيْنَا الصُّعُودُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ»، قَالَ حَارِسُ الطُّيُورِ بإِصْرَارٍ. فَتَسَاءَلَ العَالِمُ: «إِلَىٰ أَعْلَىٰ ؟!»...

أَسْنَدَ حَارِسُ الطُّيُورِ العَالِمَ بِسَاقِهِ لِيَتَسَلَّقَا الأَشْجَارَ المُرْتَفِعَة. وَقَدْ اسْتَطَاعَ العَالِمُ الصُّعُودَ بِمَهَارَةٍ بِرَغْمِ تَدَلِّي قَفَصِ طَائِرِهِ وَتَأَرْجُحِهِ عَلَىٰ كَتِفِهِ وَظَهْرِهِ... وَلٰكِنْ... يَا لَلْمُفَاجَأَةِ المُدْهِشَةِ...! فَقَدْ وَجَدَ العَالِمُ نَفْسَهُ عَلَىٰ عُلُوٍّ شَاهِقٍ فِي جِذْعِ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ... بِحَيْثُ حَشَرَ رَأْسَهُ فِي قَاعِ عُشٍّ كَبِيرٍ كَالصَّحْنِ المُسْتَدِيرِ.







وهَمَسَ حَارِسُ الطُّيُورِ: «حَذَارِ! لَا تُخِفْهُ إِنَّهُ آخِرُ طَائِرِ نُغْبُولٍ فِي هٰذِهِ الجَزِيرَةِ... وَ هُوَ يَضْطَرِبُ إِذَا مَا تَهَيَّجَ».

لَمْ يُصَدِّقِ العَالِمُ أن هذا النُّغْبُولَ قَدْ صَادَفَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّها أَيَّ زَائِرٍ يُثِيرُ هِيَاجَهُ وَاضطِرَابَه، لٰكِنَّهُ مَعَ ذٰلِكَ ارْتَدَّ مُبْتَعِداً عَنِ العُشِّ، نَاظِراً بِحَذَرٍ شَدِيدٍ إِلٰى حَافَتِهِ... كَانَتْ هُنَاكَ عَيْنَانِ وَاسِعَتَانِ مَفْتُوحَتَانِ فِي إِطَارٍ مِنَ الرِّيْشِ النَّاعِمِ النَّاصِعِ البَيَاضِ تُحَمْلِقَانِ فِي وَجْهِهِ... ثُمَّ انطَلَقَتْ زَعْقَةٌ حَادَّةٌ مِنْ مِنْقَارِهِ الغَاضِبِ... وَتَحَرَّكَ جَنَاحَاهُ بِعُنْفٍ دَلِيلاً عَلٰى عَدَمِ ارْتِيَاحِهِ وَرِضَاهُ... وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ امْتَدَّ مِخْلَبٌ كَبِيرٌ... ضَارِباً حَافَةَ العُشِّ بِعُنْفٍ...

وَلٰكِنَّهُ أَخْطَأَ الوُصُولَ إِلٰى هَدَفِهِ المَقْصُودِ... أَنْفِ بَحُّوث!.

تَرَاجَعَ العَالِمُ إِلٰى مَخْبَئِهِ تَحْتَ العُشِّ... مُحَاوِلاً إِنْزَالَ القَفَصِ عَنْ ظَهْرِه... ثُمَّ تَعَلَّقَ بِجِذْعِ الشَّجَرَةِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ... وَحَمَلَ القَفَصَ مُحَاوِلاً الاقْتِرَابَ مِنْ حَافَةِ العُشِّ بِاليَدِ الأُخْرىٰ. «وَالآنَ... أُنْظُرْ هُنَا يَا نُغْبُول!... فِي اعْتِقَادِنَا أَنَّ هٰذا الطَّائِرَ الصَّغِيرَ لَرُبَّمَا كَانَ أَحَدَ أَبْنَائِكَ... هَيَّا تَحَرَّكْ... وَأَفْسِحِ المَجَالَ لِزَاوِيَةٍ لَهُ فِي عُشِّكَ الكَبِيرِ!»، لٰكِنَّ نُغْبُول نَظَرَ إِلَيْهِ بِحِدَّة... سَاحِباً مِخْلَبَهُ الضَّخْمَ... وَمُسْتَعِداً لِمُهَاجَمَةِ القَفَصِ بِضَرْبَةٍ سَاحِقَةٍ سَرِيعَة...

«حَسَناً»، قالَ العَالِم... مُتَرَاجِعاً بِسُرْعَةٍ بِقَفَصِهِ إِلىٰ الخَلْفِ... «أنتَ... بِكُلِّ تَأْكِيدٍ.. غَيْرُ مَرْغُوبٍ فِيكَ هُنَا... ياصَغِيرِي!».

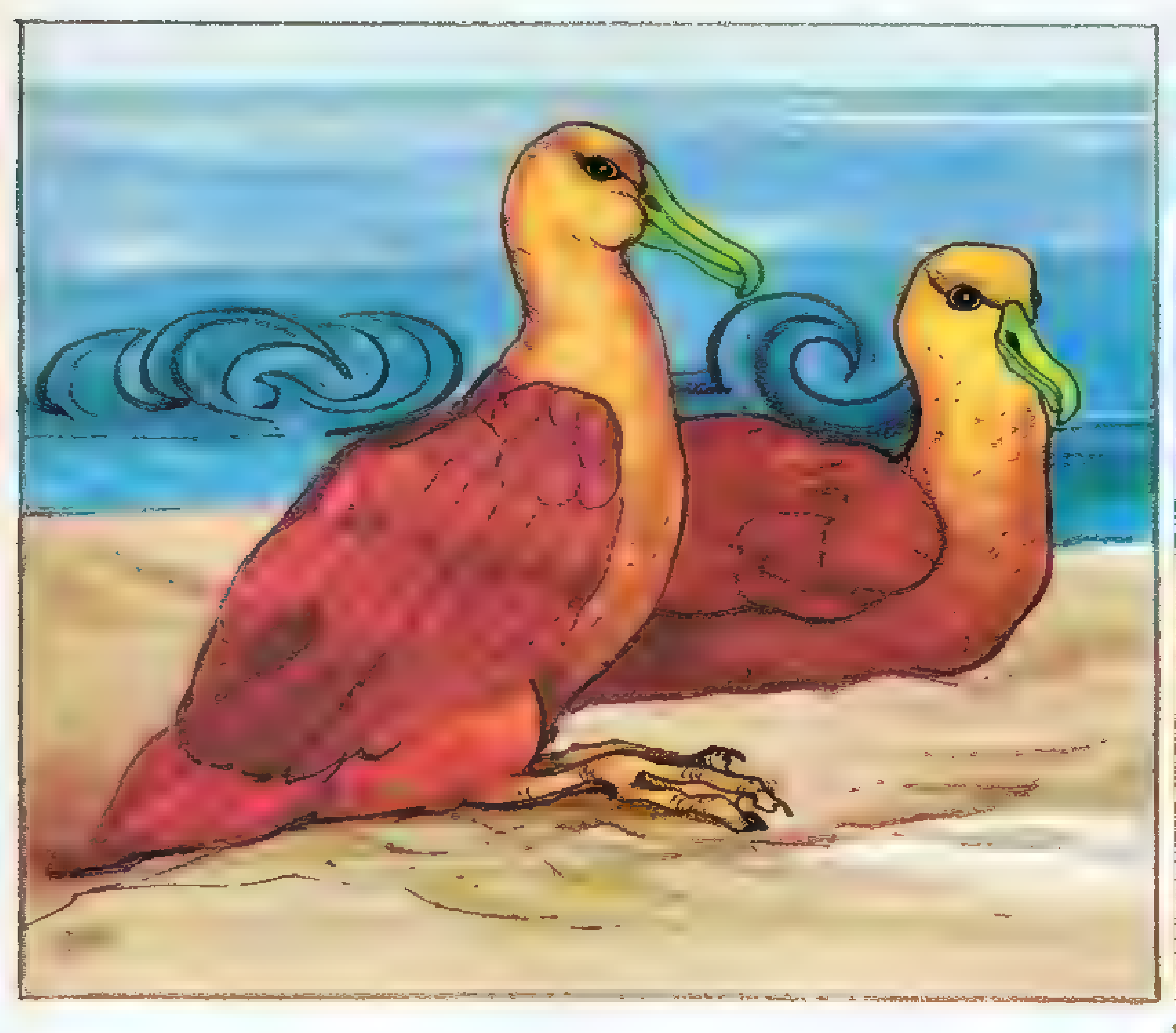




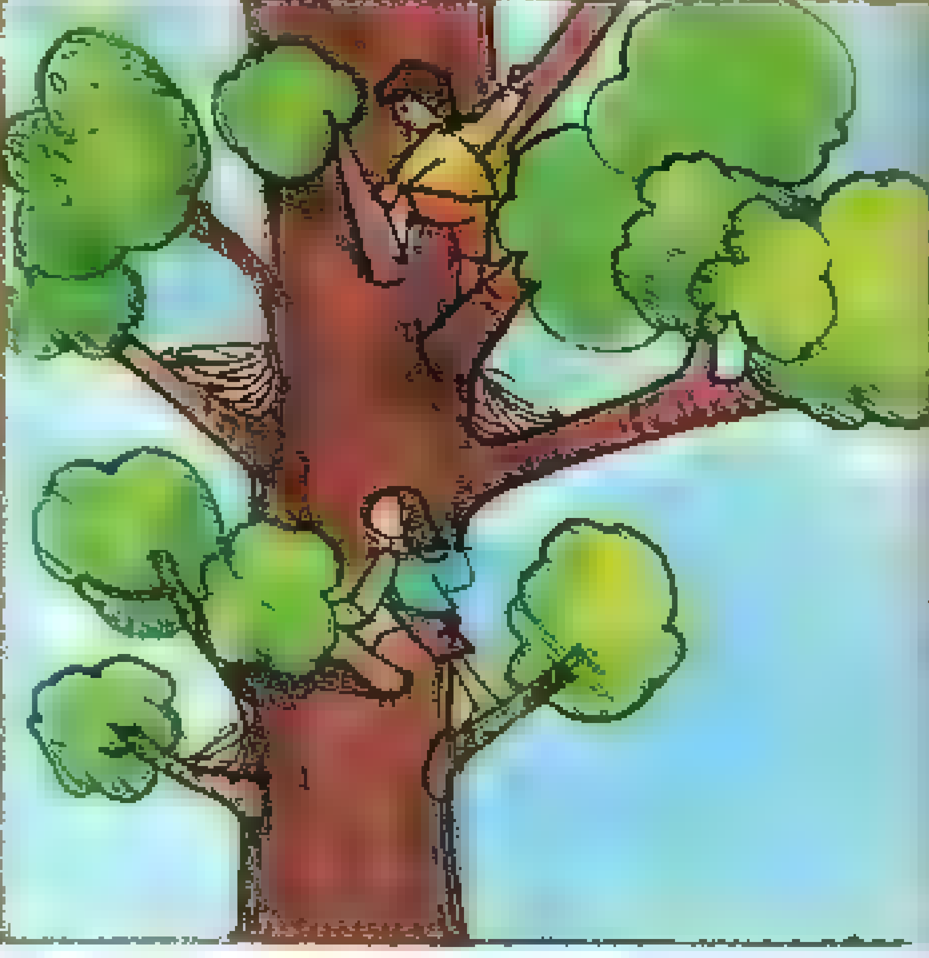


رَدَّدَ حارِسُ الطُّيُورِ كُلَّ عِبارَاتِ الاِعْتِذَارِ لِلْعَالِمِ، مُحَذِّراً إِيَّاهُ مِنْ أَنَّ كُلَّ النَّغَابِيلِ سَيِّئَةُ الطِّبَاعِ.

«لَقَدْ كَانَتْ طُيُورُ النَّغْبُولِ تُعَشِّشُ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ... بَيْنَ حَنَايَا الصُّخُورِ المَرْجَانِيَّةِ، وَفِي التِّلَالِ الرَّمْلِيَّةِ، وَبَيْنَ الأَعْشَابِ البَرِّيَّةِ عَلَى الشَّاطِىءِ... ثُمَّ أَخَذَ بَنُو آدَمَ يَتَوَافَدُونَ لِزِيَارَةِ الجَزِيرَةِ... وَكَانَتْ طُيُورُ النُّغْبُول أَلِيفَةً مُسَالِمَةً... تَرْقُدُ بِهُدُوءٍ وَوَدَاعَةٍ فَوْقَ بَيْضِهَا... بَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ يَسْرِقُونَ البَيْضَ مِنْ تَحْتِهَا... وَحَاوَلَتْ النَّغَابِيْلُ أَنْ تَفِرَّ مِنْهُمْ إِلَى دَاخِلِ الجَزِيرَةِ... لٰكِنَّ بَنِي البَشَرِ تَمَكَّنُوا مِنَ الوُصُوْلِ إِلَيْها وَتَنَاوُشِهَا إِلَى أَنْ تَنَاقَصَتْ أَعْدَادُ هٰذِهِ الطُّيُورِ وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَتَلَاشَى وَأَصْبَحَتْ أَعْشَاشُهَا صَعْبَةَ المَنَال. وَهٰكَذَا، فَإِنَّكَ تَرَى الآنَ أَيُّهَا العَالِمُ أَنَّهُ لا يُوْجَدُ إِلَّا عُشٌّ نُغْبُولٍ وَاحِدٌ... وَطَائِرُ نُغْبُولٍ وَاحِدٌ... وَلَيْسَ لِهٰذَا الطَّائِرِ زَوْجٌ... لِذَا... فَلَنْ تَكُوْنَ هُنَاكَ بَيْضَةٌ أُخْرَى».







أَحسَّ العَالِمُ بَحّوث بِأَنَّهُ لا ضَرُورَةَ لِوُجُودِ حَارِسِ طُيُورٍ مَعَهُ أَيْضاً... وَشَعَرَ بالشَّفَقَةِ علىٰ نُغْبُولَ وَحَارِسِهِ. كَمَا رَثَىٰ لِطَائِرِهِ الصَّغِيرِ عَجْيَان الّذِي سَيُوَاجِهُ نَفْسَ المَصيرِ الّذِي وَاجَهَتْهُ النَغَابِيلُ مِنْ قَبْلِهِ، إِذَا لَمْ يُوَاصِلِ البَحْثَ عَنْ عَشِيرَتِهِ!.







فِي غَيَاهِبِ الضَّبَابِ الّذي يَغْمُرُ شَوَاطِيءَ بُحَيْرَةِ الأَدْجَانِ، انْتَصَبَتْ شَجَرَةُ سَرْوٍ فَارِعَةٌ. ارْتَفَعَتْ أَغْصَانُ السَّرْوَةِ، وَبَسَقَتْ مِنْ أَعْماقِ مِيَاهِ البُحَيْرَةِ سَامِقَةً إلى عُلُوٍّ شَاهِقٍ، وَمُحْتَضِنَةً عُشّاً وَاسِعاً مَبْنِيّاً مِنَ العِيْدَانِ الصَّغِيْرَةِ وَالقَشِّ.

لَمْ يُبْدِ الطَّائِرُ الرَّاقِدُ فِي هٰذا العُشِّ أَيَّ حَرَكَةٍ... حَتَّى النَّسِيْمُ المُنْسَابُ حَوْلَهُ لَمْ يَكَدْ يُحَرِّكُ رِيْشَةً مِنْ رِيْشِهِ الوَفِيْرِ.

كانَ هٰذا الطَّائِرُ سَاهِماً... يُحَدِّقُ بِحُزْنٍ فِي مِيَاه البُحَيْرَةِ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ آخِرُ طَائِرٍ مِن لَقَالِق الخُفْخُوف ذَاتِ المِنْقَارِ الطَّوِيلِ وَاللَّوْنِ النَّاصِعِ البَيَاضِ، في العَالَمِ كُلِّهِ. بَلْ لَعَلَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يلتَقِيَ بِأَيِّ أُنْثَى بَيْضَاءَ مِنْ نَوْعِهِ، تَقْطَعُ البِحَارَ عَائِمَةً فَوْقَ المِيَاهِ الفِضِّيَّةِ، لِتُلَاقِيَهُ فِي ذٰلِكَ العُشِّ الّذِي أَعَدَّهُ لِيَضُمَّهُمَا مَعاً!

نَظَرَ الدُكْتُور بِطْرِيرُ، الذي كانَ واقِفاً مَعَ جُمهُورِ المُسْتَقْبِلِين، إلىٰ العَالِمِ أَوَّلاً... ثُمَّ إلىٰ طَائِرِهِ المَحْبُوسِ فِي القَفَصِ وَقَالَ وَهُوَ يَنْحَني قليلاً: «مَعَ وَافِرِ الاحْتِرَامِ، أَخْشَىٰ أَلَّا يَحْمِلَ هٰذا الصَّغِير أَيّاً مِنْ مَلَامِحِ المَهَابَةِ وَالرَّشَاقَةِ الّتِي يَتَمَتَّعُ بِها الخُفْخُوف عِنْدَنَا.» فَانْحَنَى العَالِمُ بَحّوث باحْتِرَامٍ مُمَاثِلٍ لِزَمِيلِهِ، وَهُوَ يَخْشَىٰ أَنْ يَدْعُوَهُ إلى تَسَلُّقِ السَرْوَةِ العالِيَةِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ ذٰلِكَ...





كَانَتِ المَحَطَّةُ التَّالِيَةُ لِبَحُّوثَ وعَجْيَانَ في
جُزُرِ جَنُوبِيِّ المُحِيطِ الهَادِي، علىٰ أَحَدِ
الشَّوَاطِئِ الصَّغِيرَةِ المُمْتَدَّةِ في زُرْقَةِ المِيَاهِ



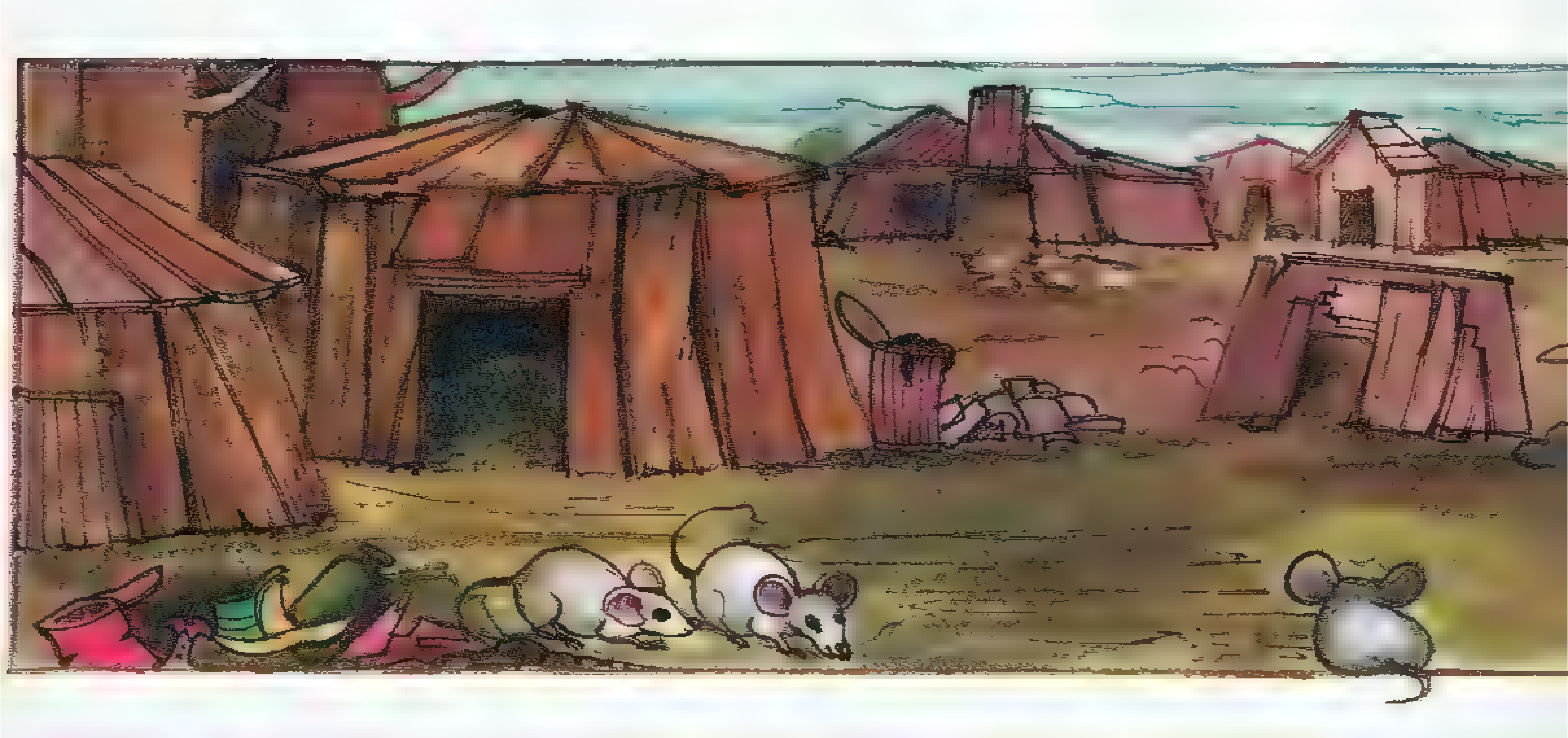
الهَادِئَةِ في الخَلِيجِ ... هُنَالِكَ كَانَ جُمْهُورٌ مِنَ النَّاسِ في انْتِظَارِهِ ... وَعِنْدَمَا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ، قَابَلُوهُ بِالهُتَافِ وَالتَّصْفِيقِ مُرَحِّبِينَ، وَزَيَّنُوا مِعْطَفَهُ بِقِلَادَةٍ مِنَ الأَزْهَارِ العَطِرَةِ الزَّاهِيَةِ ...

أَلْقَى العَالِمُ نَظْرَةً مُبْتَهِجَةً عَلَى طَيْرِهِ الصَّغِيرِ الرَّاقِدِ في قَفَصِهِ الوَثِيرِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَالَهُ مِنْ تَرْحِيبٍ حَارٍّ بِنَا يا عَجْيَان! لَعَلَّنَا نَجِدُ لَكَ مَأْوًى وَبَيْتاً بَيْنَ هٰؤُلَاءِ الأَصْدِقَاءِ!».

«أَصْدِقَاء!!» صَاحَ مُضِيفُهُ في الجَزِيرَةِ العَلَّامَةُ بَهْرَامُ سَاخِراً ... «مَا أَغْنَى الطُّيُورَ عَنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الأَصْدِقَاءِ! أُنْظُرْ إِلَى زِينَةِ رُؤُوسِهِمْ ... فَمَا الَّذِي تَرَاهُ؟ رِيشٌ! إِنَّهُ رِيشُ طَائِرِ الطَّقْطَاقِ الرَّائِعِ. أَتَرَى بُيُوتَهُمْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تُبْنَى؟ مِنَ الخَشَبِ! إِنَّهَا أَخْشَابٌ مَقْطُوعَةٌ مِنَ الأَشْجَارِ الَّتِي تُعَشِّشُ فِيهَا طُيُورُ الطَّقْطَاقِ فِي الغَابَاتِ. أَتَرَى هٰذِهِ القُمَامَةَ؟ قُمَامَتُهُمْ هٰذِهِ تَجْذِبُ الجُرْذَانَ، وَالجُرْذَانُ تَسْرِقُ البَيْضَ وَالصِغَارَ مِنْ أَعْشَاشِ طُيُورِ الطَّقْطَاقِ ... هَا هَا ... أَصْدِقَاءُ حَقّاً!».

تَنَهَّدَ العَالِمُ مُكْتَئِباً لِكُلِّ مَا سَمِعَه وَقَال: «أَلَمْ تَسْتَطِيعُوا حِمَايَةَ الطُّيُورِ بِإِخْفَائِهَا فِي أَمَاكِنَ آمِنَة؟» فَأَجَابَهُ بَهْرَام بِحُرْقَةٍ: «لَقَدْ فَاتَ الأَوَان!».

وَتَذَكَّرَ بُحُوثَ المَخَاطِرَ الَّتِي مَازَالَتْ تَنْتَظِرُ طَائِرَهُ الصَّغِيرَ الَّذِي يَرْعَاهُ ... لٰكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِآخِرِ بَارِقَةِ أَمَلٍ أَمَامَهُ.



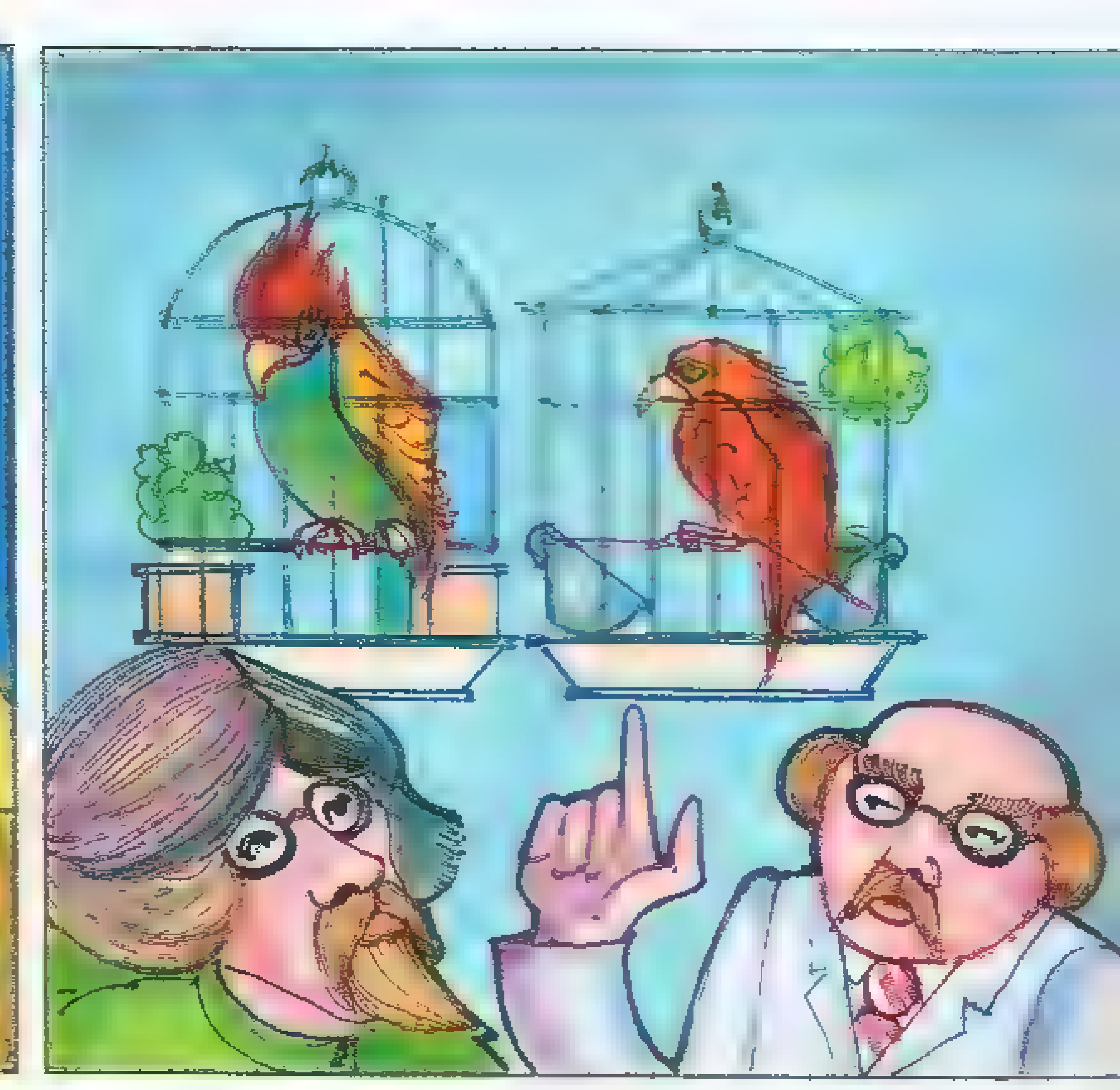


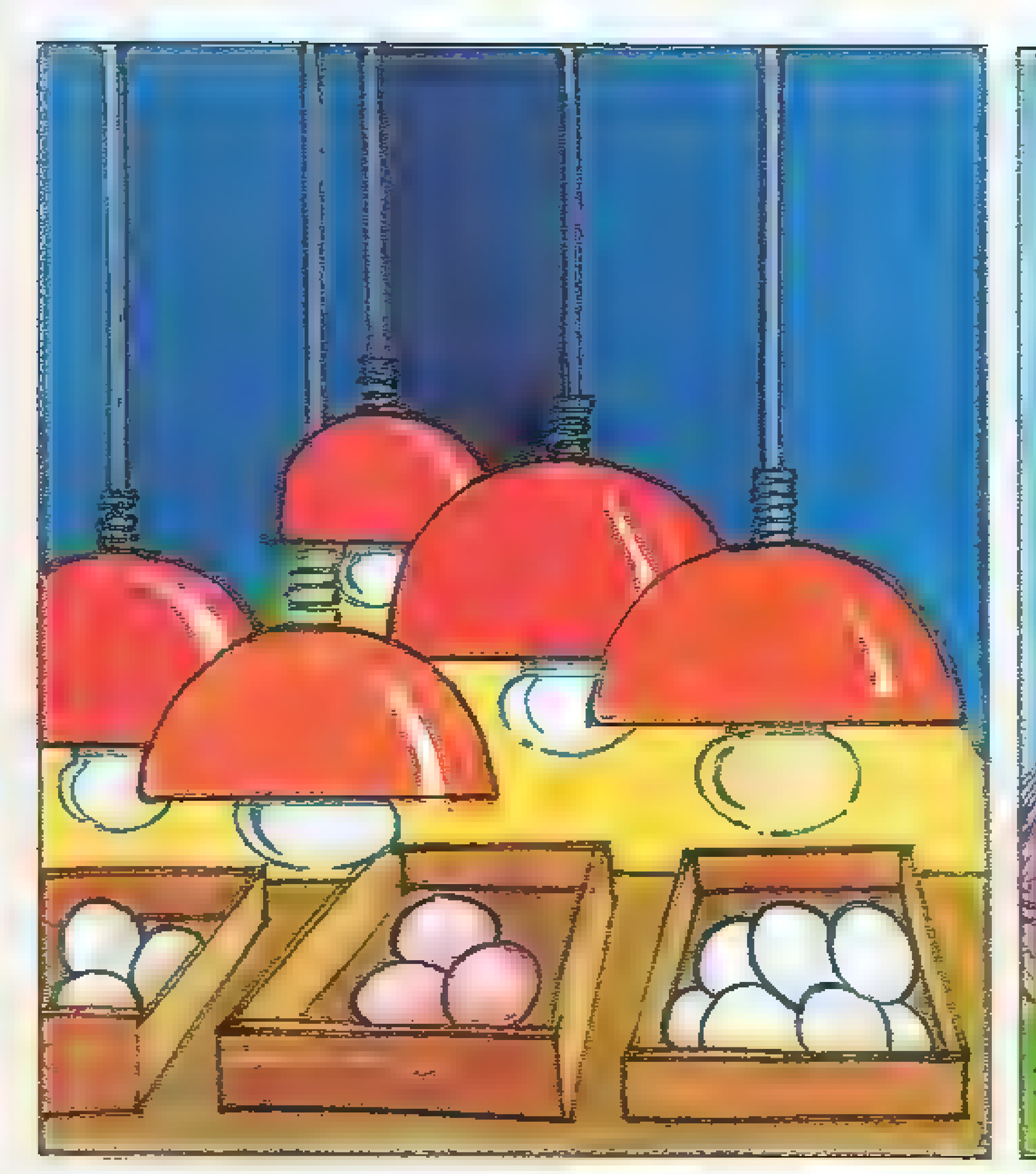




لَمْ تَنْسَ العَمَّةُ خَفِيَّة لِحُسْنِ الحَظِّ، أَنْ تَضَعَ لَفَّةً أُخْرَىٰ مِنَ الصُّوْفِ في حَقَائِبِ العَالِمِ بَحُوث، فَقَدْ وَصَلَ المُسَافِرَانِ إلىٰ سُفُوح جِبَالِ هَمَلَايَا... واسْتَمَرَّ العَالِمُ في سَيْرِهِ فَوْقَ الثُّلُوجِ المُتَرَاكِمَةِ... مُحَاوِلاً شَدَّ مِعْطَفِهِ عَلىٰ أُذُنَيْهِ لِيَحْمِيَهُمَا مِنْ لَسْعِ البَرْدِ القَارِس، وَجَادّاً في الوُصُولِ إلى مُسْتَشْفَىٰ الطُّيُورِ الصَّغِيرِ حَيْثُ كَانَ الطَّبِيْبُ بِقْرِيسُ في انْتِظَارِه.

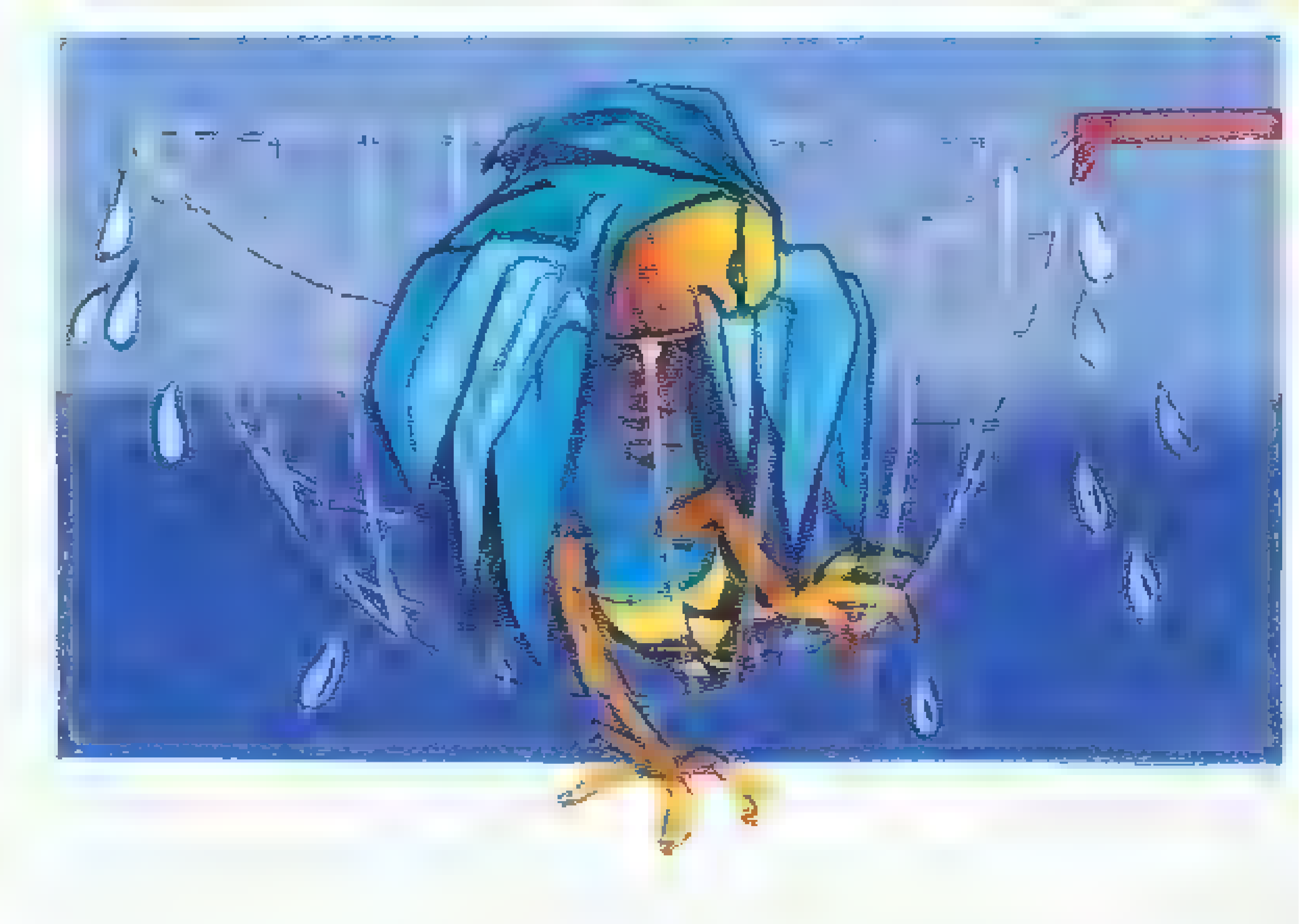
وفي قَاعَاتِ المُسْتَشْفَى، اسْتَلْقَىٰ المَرْضَىٰ بِدِفْءٍ وَرَاحَةٍ عَلىٰ سُرُرٍ نَاعِمَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الأَغْصَانِ الطَّرِيَّة وَ القَشِّ اليَابِع. كانَ الطَّبِيْبُ بِقْرِيسُ يُدَاعِبُ أَحَدَ مَرْضَاهُ وَهُوَ يُحَاوِلُ إِقْنَاعَهُ بِجَرْعِ الدَّوَاءِ: «إِنَّ مَعِدَتَهُ مَمْلُوءَةٌ بِأَحَدِ مُبِيدَاتِ الحَشَرَاتِ. لَقَدْ تَسَرَّبَ إِلىٰ أَمْعَائِهِ... وَهَاهُوَ ذَا الطَّائِرُ المسْكِينُ يُعَانِي مِنْهَا. إناثُ هذه الطيور يَنْدُرُ أَنْ تَبِيْضَ... وَإِنْ بَاضَتْ فَإِنَّ بَيْضَهَا غَيْرُ مُلَقَّحٍ... إنَّ طَائِرَ الثَّلْجِ هٰذا، يَبِيضُ بَيْضَةً وَاحِدَةً في السَّنَةِ... لِذَا فَإِنَّهَا تَفْنىٰ بِسُرْعَة.» ثُمَّ أَشَارَ الطَّبِيْبُ إلىٰ قَفَصٍ آخَرَ قَائِلاً: «وَذَاكَ طَائِرُ الغِطْرِيف إِنَّهُ مِنْ أَكَلَةِ اللُّحُوْمِ، وَهُوَ يَلْتَقِطُ أَيَّ شَيْءٍ يَجِدُهُ حَتّى الجِيَفَ المَسْمُومَةَ مِنْ قِبَلِ المُزَارِعِينَ إِنَّهَا مَادَّةُ د.د.ت مَخْلُوطَةً بالسُّمّ. يا لَهَا مِنْ وَجْبَة!».





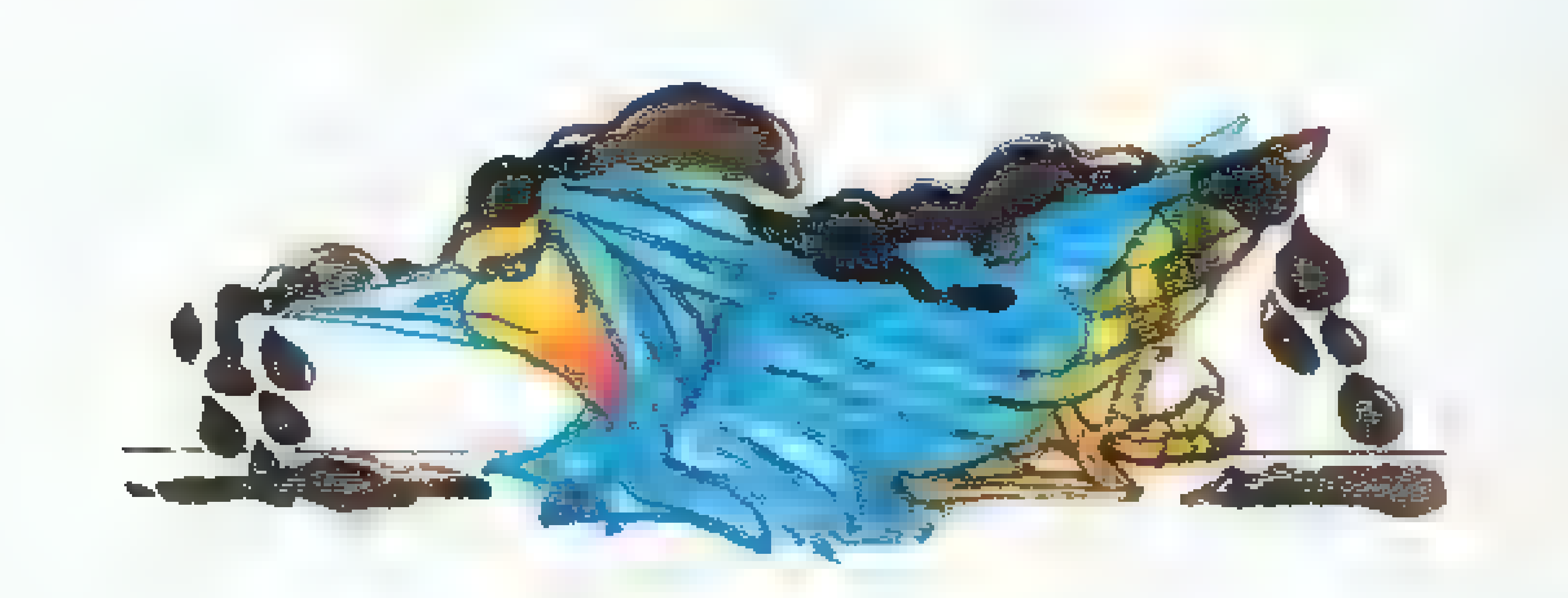






وَفِي عَصْرِ أَحَدِ الأَيَّامِ الغَائِمَةِ... عِنْدَمَا كَانَ عَجْيَان وَصَاحِبُهُ بَحُّوثُ فِي انْتِظَارِ رُسُوِّ سَفِينَتِهِمَا علىٰ الشَّاطِىءِ ... قَرَّرَ عَجْيانُ الطَّيرانَ فَجْأَةً ! وَرَأىٰ أن يُحَلِّقَ مِنْ دَقَلِ السَّفِينَةِ مُتَمَايِلاً ثُمَّ يَهْبِطَ بِرِفْقٍ علىٰ ذِرَاعِ العَالِمِ المُمْتَدَّةِ ، كَمَا شَاهَدَ الحَمَائِمَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ ... وَهٰكَذَا اسْتَعَدَّ عَجْيَان ... وَصَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ الصَّغِيْرَين عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ اتَّجَهَ إلى ظَهْرِ السَّفِينَةِ لِيُحَلِّق ... إلاّ أَنَّهُ وَقَعَ مُتَخَبِّطاً علىٰ وَجْهِ المَاءِ ... انْتُشِلَ الطَيْرُ المِسْكِينُ مِنْ مِيَاهِ البَحْرِ ... مَكْسُوّاً بِطَبَقَةٍ كَثِيفَةٍ مِنَ الزَّيْتِ العَائِمِ علىٰ سَطْحِ المَاءِ ... وَقَدْ لَطَّخَ هٰذا الزَّيْتُ رِيْشَهُ وَغَطّىٰ عَيْنَيْه وَمِنْقَارَه .

حُمِلَ الطَّيْرُ المِسْكِينُ إلىٰ مَغْسَلِ جَمْعِيَّة غَسْلِ الطُّيُورِ المُلَوَّثَةِ بِالزُّيُوتِ ... حَيْثُ انْهَمَكَ البَاحِثُ البِيْئِيُّ نَزَّاهٌ في تَحْضِيرِ المَاءِ والصَّابُونِ في مَغْطَسٍ كَبِيرٍ لِلْقِيَام بِتَنْظِيفِ وَغَسْلِ الطَّيْرِ الصَّغِير .



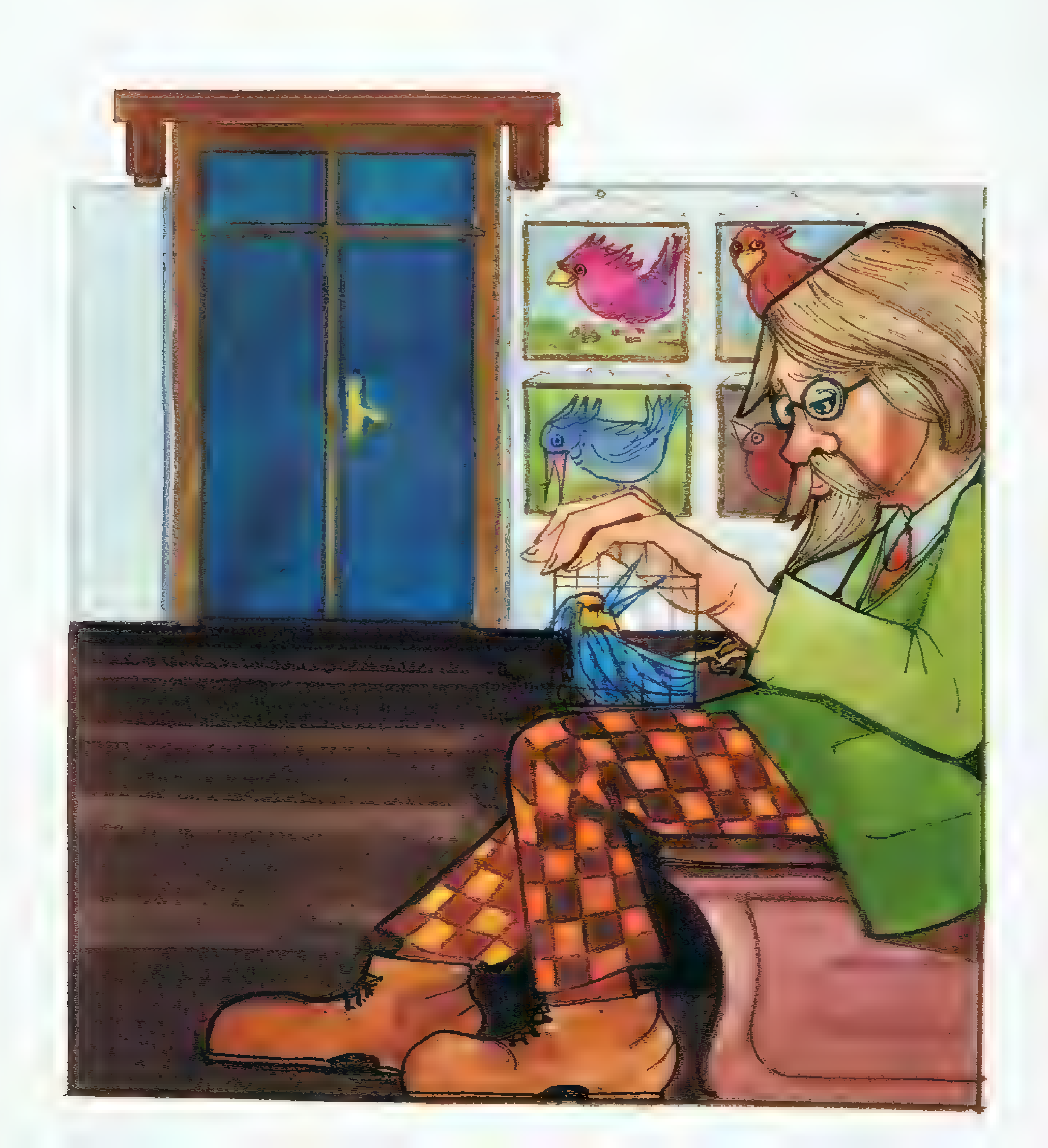


بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مِنَ الجُهْدِ ... خَرَجَ عَجْيَانُ نَظِيفاً ... وَكَذلِكَ خَرَجَ طَائِرٌ جَوَّالٌ رَمَادِيُّ اللَّوْنِ جَمِيلٌ ؛ وَطَائِرُ البَحْرِ الأَزْرَقُ الصَّغِيرُ وَالطَّائِرُ المُخَوِّضُ في المَاءِ ... «هَيَّا طِيروا بَعِيداً» قَالَهَا نَبَحِث دَافِعاً إِيَّاهُمْ مِنَ البَابِ .

«لا! ... الكَـلامُ لَيْسَ لَكَ يَاطَائِـري الصَّغِيرُ» ، قَالَهَا نَعِيم . أَمَّا أَنْتَ ، فَسَتَسِيرُ مِنَ الآنَ فَصَاعِداً .. أَتَفْهَمُ ؟ .

كان بَحُوثُ وعَجْيَانُ حَزِينَيْن أَشَدَّ الحُزْنِ لِمَا حَدَثَ ... وَلِخَيْبَةِ تَرْحَالِهِمَا الطَّوِيلِ المُضْنِي ... لٰكِنَّ حُزْنَهُمَا تَبَدَّدَ فَجْأَةً عِنْدَمَا تَسَلَّما بَرْقِيَّةً غَامِضَةً مِنَ العَمّةِ حَفِيَّة ، تَحُثُّهُمَا فِيها علىٰ الإسْرَاعِ بِالعَوْدَةِ إلىٰ الوَطَنِ دُوْنَ تَأْخِير . إنّها تُرِيدُهُما - كما قالَتْ في بَرْقِيَّتِها - أَنْ يُقَابِلا مَعَها مُدِيرَ المُتْحَفِ نِحْرير المَسْؤولَ عَنْ قِسْمِ دِرَاسَةِ الطُّيُورِ في مُتْحَفِ الأَحْيَاء .

وَصَلَ المُسَافِرَانِ بِسُرْعَةٍ إلىٰ المُتْحَفِ ، وفي لَهْفَةٍ شَدِيدَةٍ لِمَا يَنْتَظِرُهُما . واسْتَرَاحَ



بَحّوث وعَجْيان على مَقْعَدٍ خَشَبِيٍّ طَوِيلٍ في قَاعَةِ المَعْرُوضَاتِ الوَاسِعَةِ ، في انْتِظَارِ وُصُولِ العَمَّةِ وَمُدِيرِ المُتْحَفِ ، وَأَخَذَا يُحَمْلِقَانِ في صُفُوفٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الأَقْفَاصِ الزُّجاجِيَّةِ المُعَلَّقَةِ على الجُدْرَانِ ... وَلَمْ يَكْتُمْ عَجْيان تَنْهِيدَةً حَزِينَةً .

« إِنَّنِي أُوَافِقُكَ على أَنَّ هٰذا المَنْظَرَ في غَايَةِ الكَآبَةِ ياعَجْيَان ! إِنَّنَا نُشَاهِدُ هُنا أَنْوَاعاً مُتَعَدِّدَةً مِنَ الطُّيُورِ المُنْقَرِضَةِ الّتي لَنْ تَسْتَطِيعَ السَّيْرَ على وَجْهِ هٰذِهِ الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرىٰ » .

« أَتَرَىٰ طَائِرَ [illegible] هٰذا ؟ إِنَّهُ رَمْزُ جَمْعِيَّةِ البُهّل .. لَقَدْ كَانَ طَيْراً مِثْلَكَ لا يَسْتَطِيعُ الطَّيَرَان ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الفِرَارَ مِنْ حِجَارَةِ الصَّيَّادِينَ وَسِهَامِهِمْ . وَذَاكَ طَائِرُ الطَرْطَرَان العِمْلاقُ ، أَكْبَرُ سِبَاعِ الطَّيْرِ المَعْرُوفَةِ .. إِنَّهُ كانَ يَقْتَاتُ على جُثَثِ حَيَوَانِ الدِّينَاصُور . لَقَدِ انْقَرَضَتْ ــ كَمَا تَدُلُّ كُلُّ هٰذِهِ الأَسْمَاءِ على البِطَاقَاتِ ــ : طُيُورُ حَمَامِ الزَّاجِلِ ؛ والبَطَّةُ ذاتُ الرَّأْسِ الوَرْدِيِّ اللَّوْنِ ؛ وَبَبَّغَاءُ كَارُولِينَةَ الصَّغِيرُ ؛ يا إِلٰهِي ... إِنَّها طُيُورٌ كَثِيرَةٌ جَمِيلَةٌ » .

« لٰكِنَّنَا في هٰذا المُتْحَفِ القَاتِمِ نَسْمَعُ أَخْبَاراً مُفْرِحَةً ! فَمَثَلاً ... لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ شَيْئاً عَنْ طَائِرِ النُطْروس إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَثَرُوا على بَقَايَا عِظَامِهِ المُتَحَجِّرَةِ ... لٰكِنْ فَجْأَةً ــ وَدُوْنَ تَوَقُّعٍ ــ ظَهَرَ طَائِرٌ حَيٌّ مِنْ نَوْعِهِ ... وَبَعْدَ سِنِين ظَهَرَ طَائِرٌ آخَرُ ... وَآخَرُ ... وَآخَرُ .لِذٰلِكَ فَطَائِرُ النُطْروسِ لَمْ يَنْقَرِضْ أَبَداً ، فَهُنَاكَ أَزْوَاجٌ



قَلِيلَةٌ مِنْهُ مَازَالَتْ حَيَّة ... إِنَّهُ لَيُسْعِدُني وَيُسْعِدُ العَمّةَ حَفِيَّةَ كَثيراً ياصَغِيري .. لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ مِنْ فَصِيلَةِ النَطَارِيسِ التي ضَاعَتْ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ اكْتُشِفَتْ بَعْدَ ذلِكَ .

بَدَا مُدِيرُ المُتْحَفِ نِحْرِير فَرِحاً عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا ... وَكَذٰلِكَ العَمَّةُ حَفِيّةُ التي كَانَتْ قَدِ افْتَقَدَتِ ابْنَ أَخِيهَا العَالِمَ وَاشْتَاقَتْ إِلَيْهِ كَثِيراً ... وَكَذٰلِكَ إِلىٰ طَيْرِهَا الصَّغِير . وَلَاحَظَتِ العَمَّةُ حَفِيَّة أَنَّ طَائِرَهَا قَدْ نَمَا كَثِيراً خِلَالَ فَتْرَةِ تَرْحَالِهِ . فَقَدْ تَحَوَّلَ رِيْشُهُ النَّاعِمُ الهَشُّ إِلىٰ رِيشٍ طَوِيلٍ قَاسٍ أَبْيَضَ ، وَقَدْ تَلَوَّنَتْ أَطْرَافُهُ باللَّوْنِ الوَرْدِيّ وَالأَحْمَر . أَمَّا مِنْقَارُهُ الأَزْرَقُ فَقَدْ تَمَوَّجَ بِبَرِيقٍ أَزْرَق لازَوَرْدِيّ لامِعٍ ... وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ رَأْسَهُ وَسَاقَيْهِ مَا زَالَا كَبِيرَي الحَجْمِ بِالنِّسْبَةِ إلى جِسْمِهِ الصَّغِيرِ ... إِلّا أَنَّهُ بَدَا أَكْثَرَ هَيْبَةً وَجَمَالاً .

وَتَفَحَّصَ مُدِيرُ المُتْحَفِ عَجْيَانَ بِعِنَايَةٍ وَحِرْصٍ قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ قَائِلاً : «لَقَدْ أَحْرَزْنَا إِنْجَازاً عِلْمِياً كَبِيراً فِي عِلْمِ دِرَاسَةِ الطُّيُورِ أَيُّها العَالِم ... دَعْنِي أَسْرُدْ عَلَيْكَ هٰذِهِ القِصَّةَ الغَرِيبَةَ ... لَقَدْ كانَ طَائِرُ التُّوتِ البَرِّيِّ مُرْتَاداً دَائماً لِلْمَنَاطِقِ الجَبَلِيَّةِ في بِلَادِ الغِيْران . وَقَدْ كَانَ يَعْتَمِدُ فِي بَقَائِهِ على وَفْرَةِ التُّوْتِ البَرِّيِّ الّذِي كَانَ يَقْتَاتُ بِهِ فِي هٰذِهِ المَنَاطِقِ الجَبَلِيَّة ... وَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ ... أَصَابَ نَبَاتَ التُّوتِ البَرِّي وَبَاءٌ فَتَّاكٌ أَتْلَفَ جَمِيْعَ أَشْجَارِهِ فِي تِلْكَ المَنْطِقَة ... وَسَرْعَانَ ما اخْتَفَى هٰذا الطَّائِرُ الجَمِيلُ ... لَقَدْ يَئِسَ الجَميعُ من بَقَاءِ هٰذا الطَّائِرِ حَيَّاً فَقَدْ كَانَ مَعْرُوفاً أَنَّ بَيْضَه يَسْتَغْرِقُ مِئَةَ عَامٍ حَتّى يَفْقُسَ ... وكانَ اكْتِشَافُ بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضِ هٰذا الطّائِرِ حَدَثاً غَرِيباً ....» .





«لَقَدْ عَرَضْنَا بَيْضَةً غَرِيبَةً في هٰذا المُتْحَفِ سَنَواتٍ عَدِيدَةً أَيُّهَا العَالِمُ الجَلِيلُ ، لٰكِنَّ أَحَداً لَمْ يَعْرِفْ أَصْلَهَا وَمَصْدَرَهَا... لِذٰلِكَ تَرَكْنَاهَا دُوْنَ اسْمٍ... إِنَّهَا هُنَاكَ فِي تِلْكَ الحَقِيبَةِ الكَبِيرَةِ... وَفِي الأُسْبُوعِ المَاضِي... بَيْنَمَا كَانَتْ عَامِلَةُ التَّنْظِيْفِ تَقُومُ بِمَسْحِ الغُبَارِ المُتَرَاكِمِ علىٰ تِلْكَ الحَقِيبَةِ... لاحَظَتْ شَقّاً صَغِيراً في تِلْكَ البَيْضَةِ... فَوَقَفَتْ تُرَاقِبُها... وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ رَأَتْ مِنْقَاراً صَغِيراً أَزْرَقَ اللَّوْنِ يُحَاوِلُ شَقَّ طَرِيقِهِ بَيْنَ صُدُوعِ قِشْرَةِ البَيْضَةِ ! فَلَرُبَّمَا كَانَتْ البَيْضَةُ الّتي في حَوْزَتِنَا والبَيْضَةُ الّتي عَثَرْتَ عَلَيْها أَيُّهَا العَالِمُ هُمَا آخِرُ بَيْضَتَيْن باضَتْهُما طائِرُ التُّوْتِ البَرِّيِّ قَبْلَ أَنْ يَنْقَرِضَ... ولَعَلَّنَا نَحْنُ الاثْنَيْنِ قَدْ حَصَلْنَا علىٰ آخِرِ طَيْرَيْن صَغِيرَيْنِ مِنْ طُيُورِ التُّوْتِ البَرِّيِّ في العَالَم !»

«يا أَيُّهَا العَالِم الصَّدِيقُ، وَيَا طِائِرِي الصَّغيرُ العَزِيزُ... لَدَيْنَا الآنَ أُنْثىٰ صَغِيرَة مِنْ إنَاثِ طَيْرِ التُّوتِ البَرِّيّ... وَهِي تَتُوقُ شَوْقاً إلى أن تَكُونَ شَرِيكَةَ حَيَاتِكَ... أَتَسْمَحُ لِي بِأَنْ أَدُلَّكَ علىٰ الطَّرِيقِ إليها...؟!»



صدر من هذه السلسلة

الشجرة المهاجرة
البيضة الغريبة
قرية النظافة
القطرة الأبية



الثمن: السعودية ٧ ريالات، الكويت ٦٢٠ فلس، قطر ٧,٧٠ ريال قطري، الإمارات ٧,٧٠ درهم، وفي سائر الأقطار ٢,١٠ دولار أمريكي U.S$2.10 .
I S B N 88 - 7674 - 034 - 1